

هل الكتاب العربي في خطر؟

أما ان الصحافة الحفيفة المصورة
والسينما والاذاعة تنافس الكتاب العربي
منافسة حادة غير متكافئة ، فأمر
لا ريب فيه . اما ان فيها خطراً مميّثاً

أما ان الصحافة الحفيفة المصورة
والاذاعة والسينما تنافس الكتاب
العربي منافسة حادة فهذا ما لا شك

فيه . ولكن يخيل الي انها لا تشكل خطراً مميّثاً على مستقبله كما انها لم تشكل
مثل هذا الخطر على غيره من الكتب الحية . ولكن عاين ان يشعر بالخطر
الدايم فيمد للامر عدته ويتجهز بكل ما من شأنه ان يكمل له البقاء من
جودة في المادة وجمال في العرض واتقان للدعاية . وعندني ان الكتاب العربي
سيميش الى جانب الصحافة الحفيفة المصورة والاذاعة والسينما ولكنه سينحط
استغفر الله بل سيزداد انحطاطاً على مر الايام بسبب مماشاته الالهواء وثماقه
الجماهير سميّاً وراء الراج وربة في الانتشار .

جواب الاستاذ محمود تيمور

الصحافة الحفيفة المصورة والاذاعة والسينما وغيرها لازمة للجمهور لزوم
الكتب ، وكل واحدة منها تؤدي مهمتها التي لا تؤديها زميلاتها ؛ ففي
الوقت الحاضر ، نحن في حاجة الى كل هذه العناصر في مجتمعنا الراهن ، وكما
انك في حاجة الى غذاء وروحي دسم مركز ، فانت اشد ما تكون تلهفاً على
مرفه خفيف منوع ؛ فلا يمكن ان تستمر
على غريز اللحم ، بل من المستغاق المقبول
ان تأكل اللحم والى جواره الكروامخ
« السلطات » والحلوى ، وعصير الفاكهة ؛
لأنك إن اقتصر على زاد واحد سين ،
اصابك عمر الهضم ، وزهاده في هذا اللون
من المأكولات .
على اني لا اغفل في هذا الصدد ان لا
يطغى لون من هذه الألوان على اختصاص
صاحبه .

ورأيي ان كل ناحية إن لزمت برنامجها

المرسوم لها في تنسيق واتزان ؛ - فليس هنالك اي خطر في طغيان عنصر
على آخر ؛ فلكل لون ميدانه وطرائقه وخططه . فلمدرسة مثلاً لا تنافس
« السينما » و « السينما » لن تكون سبباً في اغلاق المدارس والتقاليل من
اهميتها ؛ إذ ان لكل رسالته الخاصة ، واهداهه البيئة ، ومناهجه المرسومة .
ولم يقل احد ان ملاعب « السيرك » - ومن اهم خصائصها الترفيهه
الزائد عن الشعب - كانت من وسائل القضاء على المسرح ، والحط من قيمته .
وليست الإذاعة و « السينما » مقصورتين على الترفيه ، فلا يصح اضافتهما
الى صنف الصحافة الحفيفة المصورة ، بل هما جانب ثقافي في ثوب ترفيهي
مستغاق يتقبله المرتادون لمبدانها في رضا وارتياح .

والاذاعة و « السينما » والكتاب ، ثلاثها ، - تعتبر مظهرأً مشتركاً في
حمل رسالة ثقافية ، وقد يتعاون الجميع نحو هدف واحد ، كما يحدث احياناً
أن يجل بعضها محل البعض ؛ مما يعجز عن مسايرة النهضة والتمشي مع مطالب
الجيل نظروف خاصة .

وإذن يكون الكتاب بخير ، وعلى واثم تام مع صويجباته ، لا يسه منها
ضر ، ولا عليه منها من خطر

على مستقبل الكتاب العربي ، فأمر يحتاج الى بحث .

إن الناس يخفقون وسائل ترفيههم على قدر مداركهم ، فاذا مننت هذه
انتشار الكتب ، فليس ذلك ذنبها بقدر ما هو ذنبنا . اذا كنا نجد من وسائل
الترفيه منافسة في امورنا الفكرية بحيث يكاد الكتاب يخترع عندنا ، فما اجدرنا
بالاعتراف بالضعف المريعة .

فالصحافة الحفيفة المصورة والسينما تجارتان تتمدان على قاعدته العرض
والطلب . وبما ان غاية كليهما الريح ، فانه من الطبيعي لهما ان تأخذنا اقرب
الطرق الى نفس المستهلك . واقرب الطرق لدينا هي إثارة الطبقة الزبديية من
العاطفة - حيث تعوم أسلاب الفكر وقاذورات المعرفة - باستخدام نوعين
او ثلاثة من الكليشيات « المضمونة التناجج » ، ولا سيما الكليشيه السياسية
والكليشيه الجنسية . التفكير : أسود وأبيض ، ولا ضلال بينها ، تماماً على
قدر عقلية المستهلك .

ومن الواضح ان الكتاب يختلف عن ذلك

كل الاختلاف : فهو وسيلة من وسائل
الكشف والاستغوار ، يفتت الكليشيه ، وقد
لا يلقي ناكث من نظرة عابرة على السياسة
او الجنس ، او قد لا يراهما كما يراهما
القاري . فالكتاب تجربة ونجدت يتركان اثرأً
طويلاً بقدر ما تكون وسائل الترفيه استسلاماً
وانصاعاً عابرين . والاول يحتاج الى عضل
ذهني ، ولا يحتاج الثانية الا الى عينين .

اما الإذاعة عندنا ، فليس وراءها من
التفكير على الاغلب إلا ما وراء وسائل

الترفيه الاخرى ، مع فارق بسيط ، وهو ان « الكليشيه الجنسية » لا تبث
في شكل صور او كلمات ، بل في موسيقى لا نهاية لها ، وما الانتقام البكاهة
الأثنة إلا ضرب آخر من السطو على العاطفة « وتلين » المقاومة الذهنية .
وهذا أيضاً ما يريده المستهلك ، والا لما لقي هذا الزواج (خذ برنامج اية
اذاعة في اية جريدة ، تجد عنوان كل اغنية واسم مغنيها او مغنيها ، حتى اذا
اتيت الى حديث ما ، وجدت : « حديث » حاف ، لا عنوان الحديث ولا
اسم صاحبه . والسبب واضح .)

فاذا كان المشترون في السوق يأخذ بابصارهم ألق الزجاج ، وتشبع معدم
فئات المعرفة ، وتشير مخباتهم صورة مارلين مونرو اكثر من الف عذراء
لرافائيل ، اني للكتاب ان يروج بينهم ؟ .

ان في الغرب صحافة احسن من صحافتنا ، وسينما احسن من سينانا ،
واذاعة احسن من اذاعتنا ، ومع ذلك لم يمت الكتاب العربي ، وما زالت
الكتب تباع بعشرات الآلاف (واحياناً بالملايين) جنباً الى جنب مع وسائل
الترفيه . فالكتاب يتوقف نجاحه على نجاح العلم . انه يتوقف على اقبال خريجي
المدارس والكليات ، اصحاب هذا العلم . فاذا اخفق الكتاب بينهم وراجت
الصحف ، فذلك دليل على انهم أطافوا الاخرية ، ولم يطبقوا الاول . وقد

الآداب تستفتي

من المؤكد ان الصحافة الخفيفة المصورة
والسينما والاذاعة تنافس الكتاب العربي منافسة
حادة غير متكافئة . فهل تعتقدون ان هناك خطراً
مميّثاً على مستقبل الكتاب العربي ؟ .

جواب الاستاذ عبد الله عبد الدائم

لا شك ان من ابرز اهداف الثقافة بسطها للجمهور وجعلها في متناولهم . ومثل هذه المهمة شاقة دوماً ، غير انها في بلادنا العربية اشق . إذ فيها طبقة مفرقة في الجلالة قلما نجد لها مثيلاً في بلد آخر ، وفيها بون شاسع بين اللغة العامية الدارجة ولغة الكتابة .

لذا كان تسيط الأفكار للجمهور امرأ لا يقوى عليه الا نفر قليل ممن هضموا ثقافتهم وقبضوا على ناصيتها وعاشروها في وضوح وجلاء ، ليستطيعوا نقلها في وضوح وجلاء .

والحق إن تحديث العامة عن معاني الخاصة امر لا يسر دوماً الا للرواد الكبار في كل علم وفن: فهؤلاء الرواد الأوائل يعرفون ان يلبسوا افكارهم الواضحة في اعماقهم حلة السهولة وجودة العرض ، دون أن يهبطوا بها عن مستواها وشأوها .

ذلك ان نقل الأفكار للجمهور ينبغي ان لا يعني ابدأ نقل الافكار الثقافية المسفة، وينبغي ان يكون هدفه رفع الجمهور بأساليب التشويق وحسن الأداء ، الى المستوى الروحي الرفيع الذي يتوق له والذي حرم منه . وينبغي الا يتحدّ تحديث الجمهور ذريعة لالقاء بقايا الموائد الفكرية والقذف بكل عديم المعنى حائل الطعم . فالجمهور تواق الى اطعمة دسمة حارة ، وما هو منشوف ابدأ الى التافه الذي يعرفه حق المعرفة ، ولا يحتاج الى من يعرفه به . انه يملك التطلع الى افق عال والتحرر الى الخروج من مستواه ؛ غير انه لا يملك الوسائل التي تمكنه من بلوغ هذا الأفق . وما على الكاتب الا ان يسر له هذه الوسائل ...

سوى ان مثل هذه الغاية ليست هي التي يجربها كتابنا غالباً عندما يكتبون في المجالات الخفيفة ، او يتحدثون في المذيع ، او ينطقون عن طريق السينما ... فهم إذ يمجزون في اكثر الاحيان عن نقل المعاني القوية والأحاسيس الحادة الى نفوس الشعب يكتبون بالتافه العادي ، بل ينصرفون الى المشوه المروج . ومثل هذا الموقف من شأنه ان يعرض الثقافة لخطر: الاول ابعاد الشعب عن الثقافة الحقيقية ، مع قتل تطلعه اليها : إذ يتوهم انه يحصل على ضالته في هذه الاشياء الخفيفة التي تكتب اليه ، فينطفئ تشقه للثقافة حين لا تغذيه ولا ترويه ، بل يحجم عن متابعة الثقافة الجدية بعد ان اعتاد هذه الثقافة المريحة وفسد ذوقه عن طريقها . وليس اخطر على الثقافة من ان تعرض عرضاً تافهاً مبتذلاً يتلقفه الجمهور ، فيتكون فكره على غرار حتى يغدو له قاعدة ومعياراً ... وليس اخطر على الافكار من ان تشيع خاطئة منحرفة عن معناها الاصيلي ، فتغرس في نفوس الشعب مشوهة ، ويصعب تقويمها فيما بعد ...

والخطر الثاني صرف جهود كبيرة في اخراج هذا النوع الخفيف من النتاج ، بحيث ينصرف الكاتب عن الاهتمام بالنتاج العميق والابحاث الدقيقة العالية . وبدون الجهد الدائم والصبر الطويل لا يمكن ان يرجى للكاتب نجاح وتقدم . فالعمل الفكري نوع من التربية الذاتية الطويلة ، لا بد فيها من مصارعة الأبحاث الجدية والتعرض بالأفكار العلمية الشاقة ... وثقافة الامية حلة دائبة صبورة على عالم متزايد في صعوبته ومستواه ...

جواب الاستاذ وديع فلسطين

لم تعرف مصر فترة نشط فيها المؤلفون ونشط فيها القراء مثل فترة الحرب العالمية الماضية . فقد كانت الصحف جميعاً تصدر في صفحات محددة بادية التفتش بسبب ندرة الورق ، وكان الاظلام المبكر يحتم على الناس ان تركز الى دورها مع احتجاب الشمس ، فلم تمد للناس سلوى الا ان تقرأ الكتاب

تسبب الضحالة هنا الى مؤلفي الكتب بقدر ما تنسب الى الجمهور . وعلى كل ، فقد فطنت المجالات والاذاعة والسينما الى ذلك ، فأوهمت قراءها بانها تستطيع ان تتخدم اغراضهم الثقافية ايضاً ، ما داموا يقبلون عاجباً . فوق القراء والانتاج في حلقة مفرغة من الجبل : جبل احد الطرفين يغذي جبل الطرف الآخر ، وفي احشاء هذه الدوامة اختفى الكتاب المسكين .

لقد اصبحت الصحافة والاذاعة والسينما في نظر الناس تعوض عن الكتاب ، بدلاً من ان تحفز على مطالعته، وصار لزاماً على الكاتب - للجملة او الاذاعة او السينما - ان ينزل الى درجة من يفهمه - كما قال ابن الرومي - الكلاب والقرود ، وإلا لفته النسيان في يومين . لقد خلطنا بين التسلية وبين المعرفة ، بين العابر وبين المقيم ، بين الزائف وبين الاصيل .

انه لمن المعض ان نرى الصحافة والسينما والاذاعة - ولها كلها ان تكون من وسائل انعاش الذهن تستعمل عندنا سلاحاً مشهوراً على الذهن نفسه . والذنب ، اعود فاقول ، ذنبنا . فكلمنا ازداد عدد « المتعلمين » ؟ (يعني : عدد من يستطيعون القراءة) تضخم عدد المنضمين الى المعسكر المقاوم لنهضة الفكر .

عندنا ولا ريب فئة ممتازة من المثقفين ، ولكنهم اذا ادركوا ما نحن عليه ، ابوا النزول الى السوق ، ولجأوا الى الكتب الاجنبية طلباً للغذاء . ان الكتاب يحضر عندنا يا سيدي ، لأننا ما زلنا « نعو على شبر ماء » . وان تنفخ الروح فيه الا عندما تجرؤ على توخي الاحماق . وحينئذ لن تكون هناك مناسبة بين التسلية وبين الفكر ، بل يغذي الواحد الآخر ، ويتبادلان اسباب النجاح ، ولكن الليل قبل ذلك الصبح طويل .

جواب الدكتور طه حسين

سيدي الكريم

تلقيت سؤالك عن خطر الصحافة الخفيفة والسينما والاذاعة على الكتاب العربي .

وما اشك في ان هذه الادوات الحديثة من ادوات الديمقراطية تنافس الكتاب منافسة مرهقة وتصرف عنه عدداً ضخماً من القراء فتسيء الى الكتاب كما تسيء الى القراء ايضاً .

فويل للانسان اذا اكتفى بالمعرفة اليسيرة ، وويل له اذا اقام ثقافته على هذه المعرفة التي تختلس اختلاساً والتي لا تتمتع على الاناة والروية والتدبر . ولكن هذا الخطر غير مبيت . فائت الصحافة الخفيفة والسينما والراديو في الشرق ضعيف اذا قيس الى اثرها في الغرب وقد قاوم الكتاب فاحسن المقاومة في اوربوا وامريكا وسبقاوم ويحسن المقاومة في الشرق ايضاً لأن الزيد يذهب جفاء وما ينفع الناس يمكث في الارض . وانت تعلم اين الزيد واين ما ينفع الناس .

جواب الدكتور اسحق موسى الحسيني

ليس من طبيعة المنافسة ان تمت ولكنها تؤدي الى التراجع وشحن الهمم . ولن يموت الكتاب العربي مهما تشدد المنافسة . وما مات قبله الكتاب الغربي والكتاب العالمي مع ان المنافسة هناك اقوى . والمتوقع ان يضعف الكتاب جهودهم حتى يطرد نمو الكتاب . وذلك بمعالجة الموضوعات التي تمس حيوات القراء ، وتجويد الكتاب مادة واسلوباً مع تخفيض ثمنه ، واخيراً برفع كابوس « الاقليمية » وإثارة شهوة القراءة حتى يصبح الكتاب بمقام الرغبة في دنيا العرب . وأكرم بالمنافسة التي تحقق هذه الأهداف !

النقد العربي ورسالته

نشر فيما يلي جواب الآنسة روز غريب على استفتاء « الآداب » الماضي ، وقد تأخر وصول هذا الجواب ، وكان السؤال : « لا شك ان النقد العربي قد اسهم بقوة وخصب في انماض الادب العربي ، فهل ادى النقد العربي مثل هذه الرسالة في تقويم ادبنا المعاصر وتوجيهه ؟ »

ان الموضوع اوسع من ان يستوعبه هذا الجواب الموجز لانه يقتضي اطلاعاً على كل ما نشر وينشر من مؤلفات ومقالات نقدية . وهذا ما لم يتيسر لي الوصول اليه . فتأخري في الجواب دليل تردد ، وجواني لا يعدو ان يكون تقديراً إجمالياً .

يلوح لي ان النقد عندنا ثلاثة اصناف :

اولا النقد المدرسي الذي توجه كثرته المطلقة الى طلاب المدارس والمعاهد العليا ، ويتناول عصور الادب الماضية ، وادب الماضين ، لا سيما ادباء المناهج المدرسية . دشن عمده زيدان ونسج الباقون على منواله وتوسعوا فيه محتذين اساليب الغرب في التحقيق والتبويب حتى جاءوا بروائع الكتب في هذا الباب ، مفردة ومتسلسلة ، وحتى يجوز القول ان نقادنا ادوا رسالتهم في مواضيع الادب الجاهلي وابن المقفع والجاحظ والمنتبي وابن الرومي .

ثانياً النقد الصحفي . وهو النقد الموجز السطحي الذي يتناول الآثار الحديثة والمعاصرة فيكتفي بالمدح والتقريب ، أو يقتصر على الطعن والتحقير ، ضارباً باصول النقد عرض الحائط . والامثلة على هذا النوع المفروض كثيرة في الصحف والمجلات المصرية . وهو صنف من صنوف الاعلان ، والتعريف

بالاشخاص والاحزاب ، ولون من الوان الدعاية التي يكاد يفرقنا سيها . وقد يكون ضرره اشد من نفعه ، لانه اذا لم يعط عن المؤلف وتأليفه صورة خاطئة شوهاه فانه يعطي بلا شك صورة ناقصة مبتورة .

الثالث النقد التوجيهي الذي ينقد الاثر الادبي تقيماً موضوعياً مجرداً من الالهواء الذاتية . يمين في التدقيق ويحذر من اطلاق الحكم ويجيد الموازنة بين المحاسن والعيوب ، غايته في ذلك ارفاف بحس القارئ . وتحقيق الصلة بينه وبين الاديب ثم حفز همة الثاني وارشاده الى مواطن القوة والضعف في تأليفه رغبة في دفعه الى التجويد والاتقان .

مثل هذا النقد قليل عندنا لأسباب لاسبيل الى تفصيلها . منها انه يحتاج الى جهود شخصية لأن صاحبه غالباً ما يكون رائداً في موضوعه ، مفتقراً الى من يشق له الطريق ، بخلاف الباحث في الادب القديم . ومنها انه مرغم على التحفظ الشديد خوفاً من اغضاب الشخص المقصود بالنقد او التعرض لحملة يشنها عليه انصاره ومريديه .

اذا كان النقد عاملاً هاماً في توجيه الاديب ، فلا ريب ان التأثير بينهما متبادل وان النشاط الادبي سبب لنشاط النقد وازدهاره . ولا بد لتعزيز الحركة النقدية من دعم الادب نفسه والسعي لحاق طبقة من الادباء المنظمين الى الادب . وتلك مهمة لا يستطيع الاضطلاع بها افراد او حزب خاص ، بل لا بد من تضافر الجهود في سبيلها على نطاق واسع .

ان نظرة عابرة في ادبنا المعاصر ترينا ان اثر النقد فيه ضعيف قليل الوضوح ، بدليل اننا نشهد حركة انتعاش في الأدب المنمق الذي يبرز فيه اللفظ الفخم الرنان وينكش المعنى حتى يكاد يضمحل . وهي ظاهرة خطيرة تذكرنا بادب القرن الرابع الهجري الذي طغى عليه السجع ، حين لم يكن لاصحابه ما يقولون . ويقف النقد « التوجيهي » من هذه الظاهرة موقف اللامبالاة او موقف التحيز والاستحسان .

روز غريب

الاخرى . وهذه حالة نأسى لها اشد الاسباب ، ولا سيما لان الناس ، في ما خلا قلة قليلة ، لم تستثمر خسارة بفقد المجلات الجادة واحتجاب الكتاب الذي ينشد التثقيف والتوجيه . وساءت الحال حين لم تبد الحكومات ابي محاولة لتشجيع اسباب الثقافة ، وحين نكصت الجماعات ، على كثرة عددها بالنسبة لما كانت عليه قبل عشرين عاماً ، فلم تستنضهم طلابها وخريجها ليحفلوا بالكتاب الادبي والمجلة الهادفة الى رسالة فكرية .

وفي اعتقادي ان انتفاء عنصر الأسي على هذه الحال الاسيفة ، إنما يوحي بان هناك شيئاً من الرضا بهذه الحال . واذا كنا راضين بهذا المآل ، فنسئل على هذا الرضا في الايام المقبلة مما يورث الكتاب العربي مستقبلاً مظلماً .

والناس امام المحن نوعان ، نوع تستغزه المحنة فتنهضه ، وتستشير الكارثة فيستيقظ اشد عزمًا مما كان ، فيكتب لنفسه صحيفة مجد جديدة . ونوع تورثه المحنة قنوطاً فيستسلم لها قانماً بما اصابه ، مضيع الامل في المستقبل بعيد وقريبه .

والذي يبدو الآن ان عنصر السطحية الذي فشا بفشو الصحافة الخفيفة المصورة والسبنا المسلية المرفهة والاذاعة المظربة المشجية ، قد صار مألوفاً بين الناس مقبولاً من القراء والكتاب . اما الدراسات العميقة والبحوث التي تتطلب المجاهدة والمصاهرة والاعمال الادبية التي تبصدي لها رجال التخصص والتأصل ، فستقبلها ، وبالاسف ، مظلم قاتم ، لاننا آثرنا امام المحنة ان نستسلم ونخضع بدلاً من ان تشخذ القوى لتخطو خطوات اقرب الى الوثب منها الى السير الوئيد .

العربي ، ولا سيما وقد تقطعت وسائل المواصلات وتمذر الظفر بالكتب والمجلات الاجنبية .

فلما انجابت غمامة الحرب ، وتضخمت الصحف المصورة وتحسنت وسائل طباعتها ، ورفع الاضلام العام ، نفخ الناس ايديهم من المطالعة ، واخذوا يرتادون دور اللهو من سينما واندية وما اليها ، وانصرفوا عن قراءة الكتاب العربي . أما الذين يقرأون ليتقفوا ، فقد تأقوا الى الكتاب الغربي ، الانجليزي والفرنسي والامريكي والالمانى ، الذي حرموا منه سنوات الحرب الطوال فمكفوا على قراءته ، وعزفوا عن الكتاب العربي .

والصحافة والسبنا والاذاعة ثلاث رسائل تؤديها هي : التثقيف والتوجيه والترفيه . ولكن يلوح ان اقبال الناس بمواطفتها على الرسالة الثالثة بمد سني التثقيف زمن (الحرب) جعل المشرفين على هذه الوسائل الثلاث يسرفون في الترفيه ويففلون جانبي التثقيف والتوجيه او يقللون من شأنها . فانتعشت الصحف الخفيفة المصورة ، وزاد تنافس محطات الاذاعة على تقديم الون الترفيهي للمستمعين باسم الفن ، واخذت صناعة السينما تخوض سباقاً لتقديم الافلام المسلية الى النظارة ولا سيما افلام الاستعراض التي لا تدور حول قصة معينة .

وكان من نتيجة هذا الاتجاه ، الذي قوي عقب الحرب ، ان تأثر الكتاب العربي تأثراً شديداً فاحتجبت سلاسل الكتب النفيسة التي كانت تصدرها « لجنة النشر للجامعيين » و « جمعية الفلسفة المصرية » وكتب « اعلام الاسلام » . واضطرت المجلات الادبية الى ايجاد ابوابها واحدة في اثر